P-ISSN: 2442-6520
https://ojs.stiudarulhikmah.ac.id/

دراسة مقارنة بين الزمخشري وابن عطية في التفسير
سورة غافر أنموذجا (لغوية)

نزلان حافظ

جامعة يالوا، تركيا

228310025@ogrenci.yalova.edu.tr

الملخص

إنّ علم اللغة العربية هو علم مهم لتفسير القرآن الكريم وأيضاً على المفسّر أن يكون لديه معرفة بلغة القرآن الكريم وقواعده. وإلا فإن نقص هذه الصفة قد يؤدي به إلى الأخطاء الجسيمة في التفسير، لأن معنى القرآن تحدده لغة القرآن، أسلوبه وقواعده استدلالا بقوله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) سورة يوسف الآية 2، لأن اللغة العربية هي اللغة الأكثر طلاقة، وأوضحها، وأوسعها، وأشدها تعبيرا عن المعاني التي تهدئ الروح. لذلك يعتبر هذا العلم من العلوم الأساسية لتفسير القرآن الكريم. الإمام الزمخشري من أشهر مفسري القرآن الذين استخدموا هذا العلم في تحديد معاني آيات القرآن في تفسيره "الكشاف". ومن بين معاصريه عالمٌ آخر ابن عطية أعطى أهمية أكبر لهذا العلم باعتماده أسلوبًا مشابهًا في تفسيره "المحرر الوجيز". حاول الباحث في هذا البحث تقديم دراسة مقارنة على أساس علم اللغويات بين هذين المفسرين في ضوء سورة غافر سيقتصر على علوم التصريف والنحو والبلاغة والاقتباس بالشعر. واستخدم الباحث المنهج المقارن في هذا البحث حيث أنّ في تفسيرهما فسّر بالرأي والمأثور، واستقرأ الباحث هذين تفسيرين في تحليل هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الزمخشري، ابن عطية، اللغوية، الكشاف، المحرر الوجيز

المقدمة

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن ليكون دليلا للبشرية لتحقيق الأمان والسعادة في الدنيا والآخرة، كما أنزله من خلال النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بدأت محاولات تفسير القرآن منذ زمن أصحاب النبي نفسه علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب من الأصحاب الذين اشتهروا بتفسير آيات القرآن كثيرًا مقارنة بالأصحاب الآخرين فالصحابة يعرفون بكل سهولة معنى كل آية لأنها نزلت

باللغة العربية، لكن أحياناً لا يفهم الصحابة تفاصيل الآية وغايتها. حيث أنّ القرآن نزل بالعربية ويقتضي بلاغية، لذلك فإن فهم اللغة العربية لا يجعل الصحابة يفهمون المعنى التفصيلي للقرآن بل يجب أن يكون مدعوماً بمعرفة اللغة المحيطة به ليس من المستغرب أن يتفاهم المرء لأصحاب رسول الله مع الأصحاب الآخرين في فهم القرآن باختلاف القدرة العلمية لديهم[1].

بعد فترة الصحابة، التابعون يتطلب أيضًا بشكل غير مباشر فهم آيات القرآن. التزم التابعون في ذلك الوقت بالمصادر السابقة بالإضافة إلى الاجتهاد. مثل تاريخ أصحاب رسول الله الذين سمعوا تفسيرات من الرسول ومع ذلك، فإن المشكلة تكمن في أن النبي لم يفسر كل الآيات. هذا هو المكان الذي يحاول فيه التابعين والجيل القادم تدوين فهمهم للقرآن بترتيب المصحف وتدوينه ليصبح كتابًا[2].

بالنسبة للباحثين الذين يدرسون دراسة القرآن والتفسير، فإن اسم الطبري ليس شيئًا أجنبيًا. ومع ذلك، بالنسبة للمجتمع المسلم العام أو العادي، بما في ذلك في إندونيسيا، فإن هذا الاسم ليس مألوفًا تمامًا. على الرغم من أنه من المفسرين الأكثر قيمة في تاريخ دراسات القرآن، لا سيما مع عمله المشهور جدًا، ألا وهو "جامع البيان في تفسير القرآن" أو المعروف باسم "تفسير الطبري". أصبح عمله الضخم في التفسير، جامع البيان في تفسير القرآن، مرجعاً للمفسر اللاحق. يعتبر تفسير الطبري نموذجيًا جدًا لتفسير بالمأثور مع ظهور تاريخه كأساس لتفسير الآية. إشادة لا حصر لها من دوائر مختلفة، من العلماء في عصره إلى علماء التفسير المتأخرين اليوم.

---

[1] محمد بن عبد الرحمن الشايع، *نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*، (رياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ص. 116

[2] محمد بن عبد الرحمن الشايع، *نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*، ص. 119

ومن أشهر كتب التفسير والمؤلفات يختص بعلوم اللغة وهما تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية الذي سيكون أحد محاور هذا البحث. بدأ تفسير الكشاف للزمخشري كما كشفه في مقدمة تفسيره بطلب من جماعة زُعم أن هذه المجموعة كانت من جماعة المعتزلة أرادوا كتاباً في التفسير يكشف جوهر المعنى من القرآن بما في ذلك تفسيره[3].

التفسير الذي اعتمده الزمخشري في تفسيره مثير للاهتمام للغاية، لأن الوصف موجز ولكنه واضح ولا مملًا للقارئ. إعداد تفسير الكشاف وفق قواعد القرآن أي بناءً على ترتيب الحروف والآيات في المخطوطات العثمانية.

يصف الزمخشري تفسيره من خلال فحص جميع جوانبه وكشف كل معانيه باتباع ترتيب المصحف، آية بآية، وحرفًا حرفًا. في شرح تفسيره، يُعرف الزمخشري بأنه عالم في قواعد اللغة العربية وآدابها، بحيث تكون هذه الفروق الدقيقة قوية جدًا في تفسيره. بالإضافة إلى ذلك، لأنه معتزلة في المجال اللاهوتي، فإن تفسيراته قوية جدًا في الدفاع عن تعاليم المعتزلة[4].

من المفسرين الذين ولدوا من عظمة الإسلام الأندلسي ابن عطية وهو شخص يلتزم أهل السنة والجماعة وينتمي إلى المذهب المالكي اسمه الكامل عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ولد في غرناطة في نهاية القرن الخامس. يصف تفسيره بتابع اللغة، بين معنى من معاني المفردات، وتصريف

[3] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العربية)، 1407هـ، ج1، ص. 68.

[4] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ص. 90

المشتقات، وإعراب الكلمات، وحدّد المعاني من المفردات اعتمادا على الشواهد الشعرية. ويذكر الوجوه الإعرابية في آية القرآنية وهو مذاهب نحوية حيث قال بإن إعراب القرآن العزيز أصل في الشريعة[5].

منهج البحث

استخدم الباحث من خلال المنهج التحليلي الاستقرائي المقارن في دراسة تفسير سورة غافر حيث أن المنهج التحليلي هو المنهج في تفسير القرآن من خلال وصف جوانبه المختلفة وشرح معنى القرآن والهدف الأساسي من تفسير القرآن بهذه الطريقة هو إرساء أسس عقلانية لفهم معجزات القرآن[6]. والمنهج الاستقرائي هو الأساس في جعل نصوص القرآن مرجعا[7]. وأخير المنهج المقارن لتفسير القرآن تقارنت الآيات من القرآن ببعضها البعض، أي الآيات التي لها افتتاحية متشابهة في قضيتين مختلفتين أو أكثر، نفس الشيء الذي يبدو متناقضًا ومقارنة آراء المفسرين في تفسير القرآن[8].

---

[5] عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 1422هـ، ص. 40

[6] فاطمة الزهراء العباسي، *أهمية المنهج التحليلي وتطبيقه في العلوم الإسلامية*، (شبكة الألوكة) ص. 7

[7] عبد الزهرة البندر، *منهج الاستقراء في الفكر الاسلامي اصوله وتطوره منهج الاستقراء في الفكر الاسلامي اصوله وتطوره*، (لندون: دار الحكمة)، 1413هـ، ص. 32

[8] عاطف علبي، *المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية*، الطبعة الأولى، (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، 1426هـ، ص. 131.

المبحث

التعريف الموجز للزمخشري ومميزات تفسير الكشاف

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ويلقب بالزمخشري، المعروف بجار الله الزمخشري[9]. ولد بزَمَخْشَر السابع والعشرين من شهر رجب في يوم الأربعاء سنة 467هـ. وزمخشر قرية من قرى في خوارزم. نشأ الزمخشري في أسرة تفتقر إلى التقاليد الدينية القوية كان والده تقياً وعقيداً بالإسلام ووالدُه معروفًا بصفاته الزهد والورع. الزمخشري بدأ تعليمه في مسقط رأسه تعلم قراءة القرآن وكتابته وحفظه في سن المراهقة، واصل تعليمه ببخارى وأصبهان، الزمخشري شخصية حريصة دائمًا على طلب العلم، وغالبًا ما ينتقل من مكان إلى آخر مثل خراسان، فلسطين، بغداد، نيسابور، الحجاز ومكة[10].

في هذه الأماكن درس مع مشاهير العلماء في ذلك الوقت، تم الحصول على معرفة الزمخشري بالأدب من خبير اللغة العربية وآدابها محمود بن جرير الضبي الأصفهاني.، لم يمض وقت طويل على إكمال دراسته، وعاد إلى منزله لأن والده سجن من قبل حكام الخوارزم وتوفي. وفي رحلته الأخيرة قد ألّف أشهر مصنفاته وهو تفسير الكشاف للزمخشري[11].

---

[9] أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي الدمشقي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* تحقيق، عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، (بيروت: دار ابن كثير)، 1406هـ، ص. 119

[10] ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، *معجم البلدان*، (بيروت: دار الصادر)، 1995، ج3 ص. 147.

[11] ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، *معجم البلدان*، ج1 ص. 147.

ومن شيوخه المشهور هم أبو الخطاب بن البطر، والدماغي، والشريف ابن الشجري والأصفهاني[12].

ومن تلاميذه المشهور هم علي بن محمد بن علي العمراني، ومحمد بن القاسم، وعلي بن عيسى بن حمزة، وأحمد بن محمد المشهور بابن المكي[13].

يشرح هذا الكتاب مشاكل الإيمان عند فهم المعتزلة من خلال إبداء الآراء المخالفة لتعاليم أهل السنة وبغض النظر عن الانتقادات المختلفة، فإن تفسير الكشاف له تفسير يهتم جدًا بالجانب الجمالي في جانب البلاغة. من ناحية أخرى، فهو مظهر من مظاهر المبدأ الذي اتخذه الزمخشري في تفسير آيات القرآن[14].

من أشهر مؤلفات الزمخشري الممتعة والغزيرة هو المستقصي في الأمثال، أساس البلاغة، مقدمة الأدب وهو قاموس من العربية للفارسية، الفائق في غريب الحديث، المفصل في صنعة الإعراب، القسطاس في علم العروض، المفرد المؤلف، تفسير الكشاف، مشتبه أسامي الرواة، نصوص الأخيار، الرائض في علم الفرائض، أطواق الذهب في المواعظ، كتاب النصائح، الأمكنة والجبال والمياه، الكلم النوابغ، مقامات الزمخشري، ربيع الأبرار. إنه شخصية عبادة تقية ومجتهدة. ولأنه شخصية مولودة من أسرة فقيرة فلديه الدافع للدراسة، بدأ في دراسة الإسلامية الدينية الأساسية وعمّق معرفته بالذهاب للدراسة في مكان آخر[15]. وتوفي ليلة عرفة عام 538 هـ بعد عودته من مكة المكرمة[16].

يتميز تفسير الزمخشري الكشف بمميزات وأهمها:

1. خلو تفسير الزمخشري من الحشو والتطويل (تكرار المعنى بأسلوبٍ آخر)

---

[12] أحمد بن علي الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد لأبي بكر*، تحقيق، مصطفى عبد القادر، (بيروت: دار الكتب العلمية)، 1417هـ، ص. 181.

[13] خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، *الأعلام*، (بيروت: دار العلم للملايين)، 2002م، ص. 74.

[14] ، أبو العباس ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق، إحسان عباس، (بيروت: دار صادر)، 1994م، ص. 185.

[15] خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، *الأعلام*، ص. 79

[16] ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله، *معجم البلدان*، ج3 ص. 148.

2. يفسّر برأيه كثيرا وأحيانا يفسر بالمأثور
3. اتباعه بطريقة الأسئلة والأجوبة مثل: قلت يدلّ على السؤال يدلّ على الجواب قلتَ (طريقة التشويق بالتعليم)
4. سلم تفسير الزمخشري من القصص الإسرائيليات في أكثر الأحيان فإنه قد يردّه كما ورد في قصة داود عليه السلام[17]، وقد لا يرده مثل ما ورد في قصة يأجوج ومأجوج[18].
5. يعول عليه كثير من المفسرين منهم، الإمام الرازي[19]في كتابه التفسير الكبير[20]، الإمام القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن، والإمام بن جزي الكلبي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل والعلماء الآخرون الذين يعولون عليه في كتبهم.

التعريف الموجز لابن عطية ومميزات تفسير المحرر الوجيز

هو أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي المعروف بابن عطية[21]، سقط رأسه سنة 480هـ، كان أبو ابن عطية عالما وفقيها، تعلّم الإمام ابن عطية من أبيه ثم فسمع من أبيه كتبا كثيرة كاللغة، كتب الحديث، كتب الفقه، ثم سكن وثبت في الأندلس، فلقي ابن عطية أبا علي الغساني فسمع منه وطلب منه الإجازة[22].

---

[17] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج4، ص81.

[18] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج4، ص82.

[19] محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، (السعودية: بيت الأفكار الدولية)، ج20، ص. 494.

[20] فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، (بيروت: دار صادر)، 1412هـ، ج25، ص. 45.

[21] مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ج2. ص. 134

[22] ابن فرحون المالكي، *الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب*، (قاهرة: دار التراث للطبع والنشر)، 2006م، ص. 57-59

ومن شيوخ ابن عطية محمد بن علي المازري، والحسن بن عمر الهوزني، وغيرهما وتتلمذ عنه أبو بكر بن طفيل القيسي، وأبو بكر بن أبي جمرة، وعبد المنعم بن القرس وغير ذلك[23].

لُقِّب ابن عطية بمفّسر الأشعري لأن فهمه على مذهب الأشعري[24] على الأكثر في العقائد وعلى المذهب المالكي في الأحكام، استشهر كتابه تراثا علميا من تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي ابن عطية رحمه الله تعالى 25 من رمضان في سنة 541هـ.

خلفية كتابة هذا التفسير هي رغبة ابن عطية في تأليف كتاب ذي صلاحية عالية، موجز ولكنه مليء بالمعاني لذلك عند قراءة هذا التفسير سيقدم للقارئ أسلوبًا في اللغة وشرحًا موجزًا ومختصرًا ولكنه مليء بالبيانات الصحيحة.

يتميز تفسير ابن عطية المحرر الوجيز بمميزات كثيرة أهمها

1. اشتمال تفسير المحرر الوجيز على عبارة سهلة
2. إكثار تفسيره من التفسير بالمأثور
3. كثرة استشهاد تفسير ابن عطية بالشعر العربي عند بيان معاني ألفاظ الآية، وإعرابها.
4. كثرة اهتمام تفسيره بالصناعة النحوية.
5. تعرض ابن عطية القراءات مع بيان المعاني المختلفة عليها.

---

[23] ابن فرحون المالكي، *الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب*، ص. 58

[24] غالب بن علي عواجي، *فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها*، الطبعة الرابعة، (جدة: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق)، 1422هـ، ص. 1217

6. استدراك ابن عطية على العلماء المتقدمين مثل ابن جرير الطبري، ومكي بن أبي طالب وغيرهما من كبار علماء المتقدمين[25].

7. ما قد ورد في تفسير الآية من اعتراض ثم الجواب عن سؤال مثل قوله فإن قيل، فالجواب[26].

التعريف الموجز لسورة غافر

سورة غافر يتكون جميع آياتها مكية ما عدا الأية السادسة والخمسين والآية السابعة والخمسين مدينة، السورة من المثاني لها 85 آية ورد في الجزء 24، بدأت بحروف مقطعة وهي من مجموعة سور الحواميم التي تبتدئ ب حم واشتملت بدايات السور السبعة حتى تسمّى بالحواميم. نزلت هذه السورة بعد سورة الزمر، ولها اسم آخر وهي سور المؤمن لذكر قصة وحكاية عن مؤمن أسرة فرعون.

تسمى بسورة غافر لأن ذكر الله عزّ وجلّ هذا الوصف الخبير الذي هو من صفات الله في ملطع سورة غافر الكريمة ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[27] وذكر تكرارا مغفرة الله في دعوة الرجل المؤمن. تتضمن سورة غافر مكية وهي من أكثر سور القرآن الكريم التي فيها دعاء إلى الله سبحانه وتعالى حيث ذكر فيها صفاتين من صفات الله ومغفرته. ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[28] ثم أعقبت بدعوة الملائكة للمؤمنين ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ

[25] ، أبو العباس ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، ج5، ص. 185.

[26] عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، الطبعة الأولى، مقدمة الوجيز، ص. 36-58

[27] سورة غافر الآية 3

[28] سورة غافر الآية 3

شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ في سورة غافر دعوة الله عبادة لدعائه وأعقب هذا الدعاء باستجابة منه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[29] حيث فيها دعوة الله عباد الله بادعاء لله وهو يضمن لهم الإجابة غافر الذنب وقابل التوب من الله.

السورة تتحدث عن أناس دعى الناس الله عز وجلّ، وأهم ما في الأمر أنهم أوكلوا مشاكلهم إلى الله. هذا لأن الشخص الذي يدعو الله قد يكون في خطر من أولئك الذين يقدمون لهم الدعوات، ولهذا السبب يحتاجون إلى أن يعهدوا بمشاكلهم إلى الله بعد كل ما يمكنهم فعله لمحاولة الوصول إلى الله.

دراسة مقارنة بين منهج الزمخشري وابن عطية في التصريف من خلال سورة غافر

التصريف لغة مصدر من صرّف أي رد الشيء عن وجهه، صرفه رجعوا ويقال أيضا بمعنى التحويل والتقليب والتغيير فتصريف رياح صرفها من جهة إلى أخرى[30]. أما التصريف الاصطلاحي هو تحول الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة خاصة لا تحصل إلا بها وقيل أيضا أنه علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب [31].

قد ورد الزمخشري وابن عطية في تفسيرهما القضايا التصريفية كما ظهر

---

[29] سورة غافر الآية 7

[30] ابن منظور، *لسان العرب ط دار المعارف لسان العرب ط دار المعارف*، (بيروت: دار صادر)، 2010، ج9، ص. 189.

[31] ابن تغري بردي، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، (مكة: المكتبة المكية)، 2012م، ص. 6.

منهج وموقف تفسيرهما في الأمثلة الآتية من سورة غافر:

عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[32] ذكر الإمام الزمخشري أنه كلمة ادْعُونِي بمعنى اعبدوني، وصرف كلمة ادْعُونِي بالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن. ويدل عليه قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي وصدر أيضا بقول ابن عباس يصدقه قول ابن عباس رضى الله عنهما: أفضل العبادة الدعاء[33]. وذكر أيضا في قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[34] حيث أنّ خائنة مصدر من كلمة خيانة كالعافية له معنى المعافاة، والمقصود من استراق النظر إلى ما لا يحل، كما يفعل أهل الريب، ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين، لأن قوله وَما تُخْفِي الصُّدُورُ لا يساعد عليه[35]. بين من حيث المصدر بقول سبحانه وتعالى ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾[36] سجل الزمخشري على المجادلين في آيات الله بالكفر: والمراد: الجدال بالباطل، من الطعن فيها، والمقصود إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله، وقد دلّ على ذلك قوله تعالى ﴿وَجادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[37].

أما منهج الإمام ابن عطية في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[38] بيّن الإمام وزن كلمة "أريكم" مِن رَأى، قَدْ عُدِّيَ بِالهَمْزَةِ، فَلِلْفِعْلِ مَفْعُولانِ:

---

[32] سورة غافر الآية 60

[33] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج5، ص. 960.

[34] سورة غافر الآية 19

[35] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج5، ص. 954.

[36] سورة غافر الآية 4

[37] سورة غافر الآية 5

[38] سورة غافر الآية 29

أحَدُهُما الضَمِيرُ في ﴿أُرِيكُمْ﴾، والآخَرُ ما في قَوْلِهِ: ﴿إلا ما أرى﴾، وكَأنَّ الكَلامَ: "أُرِيكم ما أرى"، ثُمَّ أدْخَلَ في صَدْرِ الكَلامِ ما النافِيَةَ وقَلَبَ مَعْناها بِـ"إلّا" المُوجِبَةِ مخصصا ومؤكدا للأمر[39].

دراسة مقارنة بين منهجهما في بيان الإعراب من خلال سورة غافر

الإعراب في اللغة مصدرٌ من كلمة أعرب، ولديه معنى آخر "الإبانة"، فيُقال "أعرب الرجل بمعنى أفصح القول والكلام"، كما ورد في معجم العين[40].

هذا وقد تناول ابن عطية والزمخشري إعراب اللفظ واحتمالاته وتركيبه الجملة في تفسيرهما لسورة غافر، كما ظهر موقفهما من الأمثلة الآتية:

عند قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾[41] فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ أصله: فإن ترك. و «ما» مزيدة لتأكيد معنى الشرط، ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول. إن تكرمني أكرمك، ولكن: إما تكرمني أكرمك.

فإن قلت: لا يخلو إما أن تعطف أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ فقولك: فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون: غير صحيح، وإن جعلت فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك، في المعطوف عليه بغير جزاء.

قلت: فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ متعلق بنتوفينك، وجزاء نُرِيَنَّكَ محذوف، تقديره: فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك. أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم[42].

---

[39] عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ج4، ص558.

[40] ابن منظور، *لسان العرب ط دار المعارف لسان العرب ط دار المعارف*، ج2 ص. 127.

[41] سورة غافر الآية 77

[42] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج5، ص. 962.

وبين الزمخشري أيضا في تفسيره بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[43] لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ متعلق بفعل محذوف تقديره: ثم يبقيكم لتبلغوا. وكذلك لتكونوا. وأما وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى فمعناه: ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى، وهو وقت الموت[44].

أما موقف الإمام ابن عطية فظهر في تفسيره بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾[45] وقَوْلُهُ: ﴿كُلٌّ فِيها﴾ ابْتِداءٌ وخَبَرٌ، والجُمْلَةُ خَبَرُ (إنَّ)، وقَرَأ ابْنُ السَمَيْفَعِ: "إنّا كُلًّا فِيها" بِالنَصْبِ عَلى التَأْكِيدِ، ثُمَّ قالَ جَمِيعُ مَن في النارِ لِخَزَنَتِها وزَبانِيَتِها: ادْعُوا رَبَّكم عَسى أنْ يُخَفِّفَ عَنّا مِقْدارَ يَوْمٍ مِن أيّامِ الدُنْيا مِنَ العَذابِ، فَراجَعَتْهُمُ الخَزَنَةُ عَلى مَعْنى التَوْبِيخِ والتَقْرِيرِ[46].

وعند قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[47] بين ابن عطية يجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء، ولا بدّ في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في كبر، تقديره: جدال الذين يجادلون كبر مقتا، ويحتمل أن يكون الَّذِينَ يُجادِلُونَ مبتدأ، وبِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ خبرا، وفاعل كبر قوله كَذلِكَ أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال، ويَطْبَعُ اللَّهُ كلام مستأنف، ومن قال: كبر مقتا عند الله جدالهم، فقد حذف الفاعل، والفاعل لا يصح حذفه. وفي كَبُرَ مَقْتاً ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم، والشهادة على خروجه من حد إشكاله من الكبائر[48].

دراسة مقارنة بين منهجهما في بيان الوجوه البلاغية من خلال سورة غافر

---

[43] سورة غافر الآية 67

[44] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج5، ص. 961.

[45] سورة غافر الآية 48

[46] عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ج4، ص581.

[47] سورة غافر الآية 35

[48] عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ج4، ص559.

اهتمّ الإمام الزمخشري والإمام ابن عطية ببيان وجوه البلاغة في الآية القرآنية من أحوال تركيب الكلام، والتعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، وكيفية تحسين الكلام، مع مراعاتهم لمقتضى الحال، وقد كان الزمخشري أكثر عرضا لهذه الوجوه. أما ابن عطية فالوجوه البلاغية عنده أقل من ذلك، وفيما يلي عرض لكل منهما.

عند قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾[49] بيّن الزمخشري بأن كلمة "مُبْصِراً" من الإسناد المجازى، لأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار. فإن قلت: لم قرن الليل بالمفعول له، والنهار بالحال؟ وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى، لأن كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر، ولأنه لو قيل: لتبصروا فيه، فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازى، ولو قيل: ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة، ألا ترى إلى قولهم: ليل ساج، وساكن لا ريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز[50].

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾[51] فإن قلت: كاظِمِينَ بم انتصب؟ قلت: هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى، لأن المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها. ويجوز أن يكون حالا عن القلوب، وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر، وإنما جمع الكاظم جمع السلامة، لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء[52].

أما منهج الإمام ابن عطية فظهر عند قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾[53] حيث بين ابن عطية على أنّ هَذا تَنْبِيهٌ عَلى آياتِ اللهِ تَعالى، وعِبَرٌ مَتى تَأمَّلَها العاقِلُ أدَّتْهُ إلى تَوْحِيدِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى والإقْرارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿والنَهارَ مُبْصِرًا﴾ مَجازُهُ: يُبْصِرُ فِيهِ، كَما تَقُولُ: نَهارٌ صائِمٌ ولَيْلٌ قائِمٌ[54].

---

[49] سورة غافر الآية 61

[50] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج5، ص. 960.

[51] سورة غافر الآية 18

[52] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج5، ص. 953.

[53] سورة غافر الآية 61

[54] عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ج4، ص559.

دراسة مقارنة بين منهجهما في الاستشهاد بالشعر من خلال سورة غافر

الشّعر هو كلامٌ يعتمدُ على استخدامِ موسيقا خاصّةٍ به يُطلقُ عليها مُسمّى الموسيقا الشعريّة. كما يُعرفُ الشّعرُ بأنّه نوعٌ من أنواع الكلام يعتمدُ على وزنٍ دقيقٍ، ويُقصدُ فيه فكرةٌ عامّة ومن تعريف آخر أن الشعر هو كلماتُ التي تحملُ معانٍ لغويّة تؤثّرُ على الإنسان عند قراءته، أو سماعه، وأيُّ كلامٍ لا يحتوي على وزنٍ شعريّ لا يُصنّفُ ضمن الشعر[55].

اشتشهد الإمام الزمخشري والإمام ابن عطية بالأشعار العربية في بيان تفسيرهما لسورة غافر بيان معنى الألفاظ كما ظهر منهجهما في الأمثلة الآتية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِی مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ كَذَّابٌ﴾[56] بيّن الزمخشري بقوله إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ، فعن أبي عبيدة أنه فسر البعض بالكل، وأنشد بيت لبيد:

ترّاك امكنة إذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها[57]

أما منهج ابن عطية فعند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِیٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّیٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِی ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾[58]

فَقالَ: ﴿إِنِّي أخافُ أنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾، والدِينُ: السُلْطانُ، ومِنهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

لَئِنْ حَلَلْتْ بِجَوٍّ مِن بَنِيَ أسَدٍ في دِينِ عَمْرٍو وحالَتْ بَيْنَنا فَدَكُ[59]

---

[55] ابن منظور، *لسان العرب ط دار المعارف لسان العرب ط دار المعارف*، ج1 ص. 363.

[56] سورة غافر الآية 28

[57] محمود بن عمر الزمخشري، *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، ج5، ص. 955.

[58] سورة غافر الآية 28

[59] عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ج4، ص556.

نتائج البحث

1. وجد الباحث أن الزمخشري وابن عطية في تفسيرهما من خلال سورة غافر يهتمان بالمسائل التصريفية من اشتقاق الفعل، ومصدره ووزن الصيغة، وقياسها الأصلي، وبنائها، بدون ذكر المصدر من كتب المعاجم واللغة، إلا ابن عطية فإنه يذكر مصدره أحيانا.
2. يعرض الإمام ابن عطية وجوها واحتمالات أكثر من الإمام الزمخشري سواء أكان هذا في بيان الموقع الإعرابي للكلمة
3. يستشهدان بالأشعار لبيان المعنى، أو لبيان الوجوه النحوية والبلاغية. هما تارة يذكران اسم الشاعر وتارة لا يذكران. وهما في عرضهما الأبيات لا يعينان موضع الشعر ولا يقومان بشرح البيت. وقد نجد الإمام الزمخشري بأنه لا يذكر البيت كاملا بل يقتصر على ذكر الشطر الذي فيه الشاهد
4. وجد الباحث أن الزمخشري من خلال سور غافر يكثر من ذكر الوجوه البلاغية وهو عادة يذكرها في طريقة الشرط، والجزاء (فإن قلت، قلت) في أسلوب رائق وجميل مما يدل على تذوقه لعلوم البلاغة. أما الإمام ابن عطية فإنه لم يبلغ درجة الإمام الزمخشري في معالجته للمسائل البلاغية، وهو عادة يذكر بطرق مرسلة دون اختيار لطريقة معينة.
5. كلاهما لم يذكرا المصدر من كتب الإعراب، ولم ينسبا احتمالات إلى المتقدمين. ولم يرجح الإمام ابن عطية أحدا من احتمالات إلى المتقدمين السلف، ولم يرجح أحد الاحتمالات التي ذكراها.

المصادر والمراجع

أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين. *سير أعلام النبلاء*. السعودية: بيت الأفكار الدولية.

أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين. *معجم البلدان*. بيروت: دار الصادر، 1995.

الإربلي، أبو العباس ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. بيروت: دار صادر، 1994م.

الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عطية. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ.

بردي، ابن تغري. *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*. مكة: المكتبة المكية، 2012م.

البغدادي، أحمد بن علي الخطيب. *تاريخ بغداد لأبي بكر*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ.

البندر، عبد الزهرة البندر. *منهج الاستقراء في الفكر الاسلامي اصوله وتطوره منهج الاستقراء في الفكر الاسلامي اصوله وتطوره*. لندون: دار الحكمة، 1413هـ.

جلبي، مصطفى بن عبد الله كاتب. *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الدمشقي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي. *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. بيروت: دار ابن كثير، 1406هـ.

الدمشقي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي. *الأعلام*. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.

الزمخشري، محمود بن عمر *تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. بيروت: دار الكتب العربية، 1407هـ.

الشايع، محمد بن عبد الرحمن. *نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. رياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2002.

علبي، عاطف. *المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية*. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1426هـ.

عواجي، غالب بن علي. *فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها*. جدة: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، 1422هـ.

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري. *مفاتيح الغيب التفسير الكبير تفسير الرازي*. بيروت: دار صادر، 1412هـ.

المالكي، ابن فرحون. *الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب*. قاهرة: دار التراث للطبع والنشر، 2006م.